مجلة المختار للعلوم الإنسانية 33 (1): 23-43، 2019

Research Article Open Access

البناء الفني للقصيدة العربية عند عنترة بن شداد العبسي

صباح حويل سليمان

Doi: https://doi.org/10.54172/6mfydr30

المستخلص : تناكل، وهي شكل من أشكال الشعر في التقاليد العربية، لعبت دورًا هامًا في أعمال عنترة بن شداد العبسي. تضمنت تناكل مجموعة من الأدوات الأدبية، بما في ذلك الإشارات التاريخية التي أثرت في تكوينات الشاعر. النهج الشامل في دراسة النصوص الشعرية استكشف كلاً من لغة الشاعر وعناصره الموضوعية. شعر عنترة، المعروف بطابعه الغنائي، احتفظ بالتقاليد الفنية في الوقت نفسه أظهر أسلوبه الفريد. لم تقتصر قصائده على سرد القصص الرومانسية فحسب، بل أعرب أيضًا عن مشاعره وأفكاره خارج الثيمات التقليدية مثل الألغاز والفخر والترحيب. تعكس قصائد عنترة الحياة السياسية والاجتماعية في العصر الجاهلي، حيث تميزت بشجاعته وإبداعه. على الرغم من أن هذا التحليل لا يغطي جميع الجوانب بشكل شامل، إلا أنه يسلط الضوء على إسهامات عنترة في إنتاج شعر أصيل من خلال الكتابة المتأنية واللغة الدقيقة والأفكار المترابطة.

الكلمات المفتاحية: تناكل، عنترة بن شداد، الشعر الغنائي.

The Artistic Structure of Arabic Poetry in the Works of Antarah ibn Shaddad Al-Abdusi

Sabah Hawil Suleiman

Abstract: Tanakul, a form of poetry in the Arab tradition, played a significant role in the works of Antarah ibn Shaddad Al-Abdusi. It encompassed various literary devices, including historical references that influenced the poet's compositions. The comprehensive poetic approach in studying poetic texts examined both the language used by the poet and the thematic elements employed. Antarah's poetry, particularly known for its lyrical nature, adhered to artistic traditions while showcasing his own unique style. His verses not only depicted romantic narratives but also expressed his emotions and thoughts beyond conventional themes such as riddles, pride, and elegies. Antarah's poetry served as a reflection of political and social life during the pre-Islamic era, capturing the essence of bravery and showcasing his creative prowess. Although this analysis does not cover all aspects comprehensively, it highlights Antarah's contributions in producing authentic poetry through meticulous writing, precise language, and coherent ideas.

Keywords: Tanakul, Antarah ibn Shaddad, Lyrical poetry

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

البناء الفني للقصيدة العربية

عند عنترة بن شداد العبسي

دكتور/ صباح حويل سليمان (*)

ملخص البحث

تناولتُ في هذه الدراسة البناء الفني للقصيدة العربية عند عنترة بن شداد العبسي، وقد اعتمدت على جملة من المناهج الأدبية، منها المنهج التاريخي متتبعاً الأحداث التاريخية التي أثرت في شعر الشاعر، أما المنهج الوصفي فاستعنتُ به في دراسة لغة الشاعر وأسلوبه واستخدمتُ النظرة المنهجية الشاملة في دراسة النصوص الشعرية؛ حتى تتضح الصورة الكاملة لشعر عنترة بن شداد. وقد بدأت بشعره وموضوعاته، ثم بأسلوبه وطريقته الفنية فهو لم يخرج عن الشعراء الجاهليين في التزامهم بالتقاليد الفنية للقصيدة الجاهلية.

ويُعد شعر عنترة بن شداد شعر غنائي، بالرغم من وجود بعض القصائد التي تسرد فيها القصص الغرامية أو غير ذلك. كما وفق عنترة بن شداد في التعبير عن أحاسيسه وعواطفه و أفكاره من خلال تناوله للأغراض التقليدية كالغزل والفخر والرثاء وغيرها. وقد كان شعر عنترة بن شداد خير نموذج يعكس لنا الحياة السياسية والاجتماعية وما تتضمنه من صور حماسية للبطولة والفروسية في العصر الجاهلي. لقد شغل عنترة الناس بأسطورة شجاعته وفروسيته، فقد كان كغيره من الشعراء قريباً من المعارك فعاش أهوالها وويلاتها وبالتالي كان عنترة أصدق في تعبيراته، وأقدر في إبداعاته على إنتاج شعر حقيقي.

وقد حاولت التأني في الكتابة، وصياغة الكلمات وضبطها، وربط الأفكار والمعاني؛ لتتضح الرؤية عند القارئ. ولا أزعم أني استوفيت هذه الدراسة من جميع جوانبها، فقد تكون هناك بعض الجوانب في هذه الدراسة يستحق الوقوف عليها ولم أعطها حقها، فحسبي ما بذلت من جهد ومتابعة وأرجو من الأيام أن تتكفل بسد هذه الثغرات، والله المعين.

مقدمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

فهذه محاولة لدراسة موضوع لفت نظري في تراثنا الأدبي ألا وهو البناء الفني للقصيدة العربية عند عنترة بن شداد العبسي، فوجدت في نفسي الرغبة لدراسة هذا الموضوع، ودفعني هذا الأمر إلى أن أنظر في شعر عنترة بن شداد في العصر الجاهلي وأن أبحث وأنقب وأستقصي الموضوع

---

* محاضر بقسم اللغة العربية– كلية الآداب– جامعة عمر المختار.

وأتتبعه من جوانبه المختلفة، وبعد أن زادت ميولي لهذا الموضوع، وجدت أنه من خلال هذه الدراسة أستطيع أن أستبين جوانب جديدة من قيمة شعر عنترة بن شداد في العصر الجاهلي.

وبدأت بشعره وموضوعاته، ثم تناولت البناء الفني لقصيدته، وهكذا وجدتُ بداخلي دوافع عديدة إلى أن أجعل موضوع هذا البحث (البناء الفني للقصيدة العربية عند عنترة بن شداد العبسي).

وتهدف هذه الدراسة إلى تناول الجوانب الفنية في شعر عنترة بن شداد وإبرازها. وقد تناول أغلب الدارسين البناء الفني للقصيدة الجاهلية بشكل عام، ولم نقف على دراسة متخصصة في البناء الفني للقصيدة عند عنترة بن شداد، فقصائده كانت تدرس في الغالب ضمن قصائد العصر الجاهلي، فرأيت أن أدرس البناء الفني للقصيدة العربية عند عنترة بن شداد العبسي، متوخية الحرص في أن أسد ثغرات السابقين.

ولما كانت هذه الدراسة في أغلبها تقوم على جمع النصوص وتحليلها، وضعت في اعتباري أمرين هما:

- الأول: اختيار أبرز القصائد لعنترة بن شداد.
- الثاني: المناسبة التي صدرت عنها هذه القصيدة والظروف المحيطة بها.

ومن هنا أخذت أتتبع هذا الموضوع بالقراءة الجادة والمتواصلة في تاريخ هذا الشاعر وإنتاجه الفني.

وكان لشعر عنترة الأثر في الأحداث والنفوس، فقد جاء شعره في العصر الجاهلي مسجلاً لحروب قبيلته وأيامها ومشيداً ببطولاتها ومفتخراً بانتصاراتها مثنياً على مكارمها، هاجياً لأعدائها، ذاباً عن أحسابها وأعراضها، لقد كان شعره سجلاً حافلاً لأيام قبيلته في العصر الجاهلي.

وقد اعتمدت على جملة من المناهج الأدبية منها المنهج التاريخي متتبعاً الأحداث التاريخية التي أثرت في شعر الشاعر، أما المنهج الوصفي فاستعنتُ به في دراسة لغة الشاعر وأسلوبه، واستخدمت النظرة المنهجية الشاملة في دراسة نصوصه الشعرية، والبحث في الأبعاد الفنية لشعره ومقوماته وطوابعه؛ حتى تتضح الصورة الكاملة لشعر عنترة بن شداد.

وقد تناولتُ في هذا البحث شعر عنترة بن شداد العبسي وموضوعاته، والبناء الفني لقصيدته، وقدمت لهذه الدراسة بمقدمة وتمهيد وذيلت بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إقامة هذا البحث.

أما المقدمة فتحدثت فيها عن أسباب اختياري الموضوع ومنهج البحث ومصادره. وأما التمهيد فيشمل مفهوم القصيدة الجاهلية وموضوعاتها.

وقد عمدتُ إلى تعدد المصادر؛ لتحليل شعر عنترة ودراسته دراسة متأنية بيد أن تلك المصادر للمتقدمين كانت قد عالجت شعر عنترة ضمن الشعر الجاهلي ومن هذه المصادر:

(ديوان المعاني) لأبي هلال العسكري، و(العمدة) لابن رشيق القيرواني، و(جمهرة أشعار العرب) للقرشي، و(عيار الشعر) لابن طباطبا، كما استعنت ببعض المراجع الأدبية للباحثين المحدثين في هذا السبيل مثل (العصر الجاهلي) للدكتور شوقي ضيف، و(الأصول الفنية للشعر الجاهلي) لسعد إسماعيل شلبي، و(الحياة الأدبية في العصر الجاهلي) للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، و(بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث) ليوسف حسين بكار وغيرها.

وهكذا كانت الدراسة معنية برصد شعر عنترة وبيان القيمة الفنية له في العصر الجاهلي، وكانت غايتي من هذا الموضوع أن أدخل به زاوية (شاغرة) من زوايا أدبنا العربي لعلها تضيف شيئاً جديداً إلى جانب دراساتنا الأدبية.

تمهيد

القصيدة الجاهلية :-

نسب أدباء العرب بناء القصيدة إلى المهلهل، وقالوا : أنه أول من قصّد القصائد اغترارا منهم أن الشعر حديث السن ولأنه ابتدأ مع امرىء القيس والمهلهل[1].

وكان الشاعر في قصيدته يمهد للموضوع الذي يختاره، فيجعل له مقدمة طللية تعتمد أسلوب الذكرى والانفعال، أي ذكر الأحباب الراحلين وأيام الهوى، ثم ينتقل إلى وصف الرحلة التي قام بها الشاعر علي ظهر ناقته أو فرسه، ثم يفخر أمام محبوبته ببطولاته العظيمة ووقائعه الشديدة، وقد يتداخل فخره بنفسه وقبيلته في رحلته التي تجشم فيها المهاول والأخطار.

وقد انطلقت القصيدة الجاهلية من عدة محاور نفسية عبرت عن شتى نوازع إحساس الإنسان وتجربته مع الأحداث وكانت الأطلال هي مفتاح القصيدة[2].

و ذ كر بعض النقاد أن الشعر يبنى علي أربعة أركان وهي ((المدح، والهجاء، والنسيب، والرثاء وقالوا قواعد الشعر أربعة : الرغبة – الرهبة – الطرب – الغضب، فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع)) [3].

وقال أبو هلال العسكري : ((إنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة المديح – الهجاء – الوصف – النسيب – المراثي حتي زاد النابغة فيها قسما سادسا وهو الاعتذار فأحسن[4])).

ومن الشعراء الجاهليين المتفق عليهم في إرساء أسس الشعر الجاهلي، وإيجاد سنن ثابتة له أنهم أصحاب القصائد المطولة وهم:

امرؤ القيس، والنابغة، وزهير بن أبي سُلمى، والأعشى (ميمون بن قيس) ولبيد بن ربيعة وطرفة بن العبد، والحارث بن حلزة اليشكري، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد، وعبيد بن الأبرص[5].

" ولو تأملنا القصيدة الجاهلية لوجدنا أنها تتألف من عنصرين، أحدهما شكلي أو موضوعي ونقصد به احتوائها على عدد من الأغراض تساق بنسق رتيب، فالشاعر يأتي على ظهر ناقته إلى ديار القبيلة المهاجرة، ويبدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال والغزل ووصف الضغائن والرحلة ... وأخيرا ما يختم الشاعر به قصيدته من مديح أو هجاء أو فخر أو رثاء أو غير ذلك من الأغراض التي بنى الشاعر قصيدته من أجلها، والآخر فنى ونريد به أسلوب الشاعر وطريقته الفنية " [6].

أولاً شعر عنترة بن شداد العبسي " شعر غنائي" :

يُعدُّ شعر عنترة شعر غنائي لا أثر فيه للون القصصي أو التمثيلي بشكل واضح، فهو يمثل عواطف الشاعر ومشاعره، وينبع من الفطرة والوجدان والخيال والحياة العامة.

فإذا نظرنا إلى شعر عنترة وجدناه شعراً غنائياً فهو لم يكن قاصاً، وإنما كان ينطق بما عليه شعوره ووجدانه ويتحدث عن نفسه ومجتمعه وبيئته؛ ذالكم لأن الشعر القصصي يحتاج إلى نفس طويل وفراغ كثير، وروح فنية متحضرة، أو هو لون من ألوان الحضارة لأنها تدوين تاريخ لقصه الأبطال أو فترة من تاريخ الأمة وحياتها، والعربي لم يكن يعرف أسباب الحضارة ولا وسائلها من الكتابة والتدوين والتاريخ[7].

وهناك من الدارسين من يتفق مع السابقين في أن العرب لم ينشؤوا قصصا منظوما بالمعني القصصي المعروف، الذي يصف أحداثا عظاما وأبطالا كباراً، علي طريقة الإلياذة. فليس في الشعر العربي الذي بين أيدينا ملاحم بالمعنى المعروف، ويخالفهم من يرى أن الشعر العربي عرف ملاحم، ولكنها لا تماثل الملاحم الغربية كل المماثلة.

فذهبت جماعة الباحثين الذين ألفوا كتاب (التوجيه الأدبي) إلى أن الأشعار العربية التي ترجع إلى العصر الجاهلي قد ضاع أكثرها وليس بمستبعد أن يكون في جملة المفقود منها شعر قصصي جليل الخطر[8].

ومن الشعر القصصي القصير قول عنترة عندما فخر بشجاعته وشدة بأسه، مخاطباً (عبلة) فيقول[9]:

عجبتْ عبيلةُ من فتى مُتــبذل عاري الأشاجع شاحبٍ كالمنصل

لا يكتسي إلا الحديد إذا أكتسى وكذاك كلُّ مغاورٍ مُستبســـــــل
فتضاحكتْ عجباً وقالت يــا فتى لا خيرَ فيك كأنها لم تحـــــــفل
يا عبل كم من غمرةٍ باشرتُهـــا بالنفسِ ما كانت لعمرُكِ تَنْجــلي

ونحن – كما ذكرنا سابقا – لا نجد في شعر عنترة الشعر القصصي الملحمي الذي يحوي قصائد تصور حياة الأبطال في عدة آلاف من الأبيات، ونفس العربي لا يساعده علي هذا الطول فوق قيود الوزن والقافية . بالإضافة إلى شدة تعلق العربي بالحرية والاستقلال بذاته، فوجه همته إلى وصف عواطفه وتحليل مشاعره وذكر ما يعيش فيه من حرب وسلام وشوق وحنين إلى ما سوى ذلك من شتى ألوان شعوره [10].

ومن هنا يتضح لنا أن شعر عنترة كان أغلبه شعراً غنائياً، علي الرغم من وجود بعض الأشعار التي تسرد قصة غرامية أو غير ذلك.

وكانت لغة الشعر عند عنترة لغة أدبية تعارف الشعراء على القول بها، فهي لهجة قريش، ولا عجب في ذلك فقد كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها علي اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس[11].

ثانياً موضوعات شعر عنترة بن شداد العبسي :

1- الفخر والحماسة :

من أرفع أغراضهم الشعرية الفخر والحماسة، وبإلقاء نظرة علي شعر الفخر المرتبط بالحماسة في العصر الجاهلي، نجد حرص الشاعر العربي القديم علي التغني بأمجاده، والتمدح بالخلال والمعاني الخلقية التي ترددت في هذا العصر[12].

وكان من أبرز هذه الصفات التي تتعلق بالنفس: الكرم، والشجاعة، والعفة، والوفاء وغيرها وهي صفات معنوية يشترك جميع الشعراء في إبرازها، ونظرا لطبيعة الحياة الدامية التي كانت تحياها القبائل في هذا العصر، والتي جعلت البطولة موضوعا أساسيا من موضوعات الفخر أصبح شعر الفخر من أكثر الموضوعات انتشاراً في الشعر الجاهلي عامة وشعر عنترة خاصة[13].

وخير مثال علي امتزاج الفخر بشعر الحماسة قصيدة عنترة التي يفتخر فيها بنفسه في قوله[14]:

اثني عَليَّ بما عَلمْتِ فإنّنــي سَمْحٌ مُخالَقتِي إذاَ لَمْ أُظْلَــمِ
فَإذا ظُلِمْتُ فَإنّ ظُلْمِي بَاسِلٌ مُرٌّ مَذاقتُه كَطَعْمِ العَلْقَــمِ

وعنترة هنا يلفت نظر محبوبته إلى أخلاقه العالية ويفتخر بها، فهو متسامح مع الآخرين إذا لم

يظلم، أما إذا ظلم يصبح إنسانا ظالما جبارا لا يعرف الرحمة.

وكثيراً ما يعلن البطل عن شخصيته في الحرب من خلال شعره في الميدان غير مبال؛ لينال استمرارية ذكره بين القبائل بأنه البطل المقدام الجسور. ومن ذلك ما كان يجهر به عنترة في قوله[15] :

أَنا فِي الحَربِ العوانِ غَير مجهولِ المَكانِ
أَينَما نَادي المُنــادِي في دُجى النّقْع يَرانيِ

ومما ساعد علي ازدهار غرض الفخر والحماسة في العصر الجاهلي (أيام العرب) وما كان يجري فيها من ملاحم يتطاحن فيها الفرسان، وينبري فيها الشعراء للشعراء في مفاخرات ومنافرات لا تقل احتداما ولا اضطراما عن المعارك التي تسبقها وتلحقها.

2- الهجاء :

هو تجريد المهجو من الخلال الحميدة، وقد كان الهجاء في الجاهلية يقصد به الحط من شأن قبيلة أو عشيرة أو فرد من أعداء القبيلة الشاعرة وخصومها، وكان سوطا يصبه الشاعر علي خصومه وخصوم قبيلته، فينتقص من مقامهم، ويضع من مكانتهم، وكانت الخصومات بين القبائل والحروب المشتعلة في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، سببا من الإكثار من شعر الهجاء ويمتاز فن الهجاء في الجاهلية بالقصد في السب والشتم وتعمد الأوصاف الاجتماعية المزرية بالفرد والقبيلة من الهوان والبخل والجبن وسواها[16].

من ذلك هجاء (عنترة) لعمارة بن زياد العبسي من أجواد عبس وفرسانها، عندما قال فيه كلاماً قاسياً: [17]

أحَولي تنفضُ أُستكَ مذْروَيها لتقتلني فها أناذا عُمـــــارا
متى ما تلقني فردين تـرجفُ روانقُ أليتيْكَ وتستـــــطارا
وسيفي صارمٌ قبضتْ عــليه أشاجعُ لا ترى فيها انتشاراً
ستعلم أينا للمـــــوت أدْنى إذا دَانيْت بي الأسلَ الحِـرارا

استخدم الشاعر مفردات وأدوات قريبة من لغة الحرب وإيقاع الحماسة. ويرتبط الهجاء بالفخر والحماسة ارتباطا وثيقا، لما بينهما من وشائج حميمة وعند ذلك تختلط اللغة وتدنو الأساليب، وهذا أمر معتاد، لأن في الهجاء تظاهر بالقوة، وإعجاب بالملكات الإنسانية والقدرة علي إبادة الخصم، وما الفخر غير الإشادة بالمنجزات التي حققها الإنسان، وعلي هذا فالهجاء يدخل في مضامين الفخر.

3-الرثاء

الرثاء: هو البكاء علي الميت، وكان تشييع الميت عند عرب البادية بمشي الأقارب خلف الجنازة، وبحلّ النساء شعورهن وتلطيخ رؤوسهن بالرماد، وقد تحلق النساء رؤوسهن حزنا علي الميت.

ومن لوعة النفس الصادقة استقى الجاهليون معانيهم الرثائية ومزجوها بالمدح والتهديد وطلب الثأر [18].

وقد كانوا يرثون أبطالهم في قصائد حماسية يريدون بها أن يثيروا قبائلهم لتأخذ بثأرهم من مثل قول عنترة:[19]

يا جفُوني إنْ لم تجَودي بدمـــــع ... لجعلتُ الكرى عليك حرامـــــــاً

قسماً بالذي أماتَ وأحيَـــــــــا ... وتولى الأرواحَ والأجسامـــــــــا

لا رفعتُ الحسامَ في الحربِ حتَّى ... أتركُ في الفيافي عظامـــــــــاً

يا بني عامرٍ ستلقون برقـــــــاً ... من حسامي يُجري الدماءَ سجاما

(فعنترة) يرثي هنا (زهير بن جذيمة) سيد عبس عندما قتل على يد بني عامر، وهو يحرم النوم على جفونه إن لم تجود بالدمع على (زهير)، ويقسم بالذي يحيى ويميت، أنه لن يترك السيف في حربه لبني عامر، حتى يشفى غليله منهم، فهو يتوعدهم بالانتقام والثأر لسيد عبس.

4- الغزل :

وهو الشعر المعني بصفات النساء، وميل الرجال إليهن، والحديث عن جمالهن وخصالهن، وحدودهن ووصالهن[20].

من ذلك قول عنترة، وقد بدأ بالأطلال متغزلاً[21] :

أَمن طَلل بوادي الرملِ بـالِ ... محت آثاره ريحُ الشمـــــالِ

وقفتُ به ودمعي من جفونـي ... يفيضُ على مغانيه الخوالي

أسائل عن فتاة بني قـــــرادٍ ... وعن أترابها ذاتِ الجمـــالِ

غراب البينِ مالك كل يـــــومٍ ... تعاندني وقد أشغلتَ بالـــي

وخبّرْ عن عبيلة أين حلّـــت ... وما فعلت بها أيدي الليالـــي

5- المدح

هو الثناء الحسن، وذكر الخصال الحميدة، وتعداد الخلال الكريمة والمناقب الحسنة الموجودة في الممدوح التي يراها الشاعر فيه، فيخلعها عليه رغبة منه في رفع شأنه، وتعظيم مكانته بين الناس[22] . من ذلك مدح عنترة (لكسرى أنوشروان) في قوله [23]:

يا أيُّها الملكُ الذي راحاتُــه قامت مقامَ الغيثِ في أزمانـهِ
يا قبلةَ القصّادِ يا تاج العُلا يا بدر هذا العصر في كيوانهِ
ملكٌ حوى رتبَ المعالي كلَّها بسموٍّ مجد حـــلَّ في إيوانــهِ

ونخلص من هذه الدراسة أن عنترة بن شداد تناول في قصائده أغلب موضوعات الحياة التي عاشها عرب الجاهلية بحلوها ومرها، وهذه الموضوعات – كما ذكرنا سابقاً – يبدأُها عنترة بوصف الأطلال، وبكاء الديار، وذكر الأحبة، ثم يمضى في وصف الناقة والرحلة في الصحراء، وقد يؤجلها إلى نهاية القصيدة، ويقدم عليها غرضه في الحماسة أو الهجاء أو المديح أو الرثاء، وقد يختم هذا كله بحكمه وتجاربه التي عاشها في حياته.

وهذا البناء الفني هو ما تعارف عليه أغلب شعراء العصر الجاهلي، وذكره ابن قتيبة في كتابه (الشعر و الشعراء) عند تناوله لبناء القصيدة العربية فقال : (سمعتُ بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القيد، إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والزمن والاثار، فبكى واشتكى، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق والصاحب، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها ... ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد، وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق؛ ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه ... لأن النسيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء ...)[24].

فمن وقوف الشاعر أمام دار حبيبته قول عنترة في معلقته[25]:

يا دارَ عَبْلَةَ بالجِوَاءِ تكلّمي وَعِمى صَباحاً دارَ عَبلةَ واسْلَمي
حُيِّيتَ من طَلَلٍ تَقَادَم عَهدُهُ أقوَىَ وأقفرَ بعدَ أمِّ الهيْثَـــــمِ

ثم بعد ذلك يمضي في الغزل العفيف في محبوبته فيقول[26]:

وَلقدْ نزَلتِ فلا تَظنيّ غَيْرهُ مِني بمنزلةِ المُحَبِّ المَكْرَمِ

فهو في هذا الغزل العفيف يناجي حبيبته ويقول لها: لقد نزلت من قلبي منزلة من يحب ويكرم، فحبي هذا يقين فلا تظني غيره.

ثم بعد ذلك يتجه الشاعر إلى غرضه متحدثاً من خلال ذلك عن وصف فرسه، وشجاعته وبطولته، وعزة نفسه، ثم يعود مرة أخرى ويخاطب محبوبته ويقول لها: اسألي الفرسان عني في القتال إن كنت جاهلة بها، إذ لم أزل على سرج فرس سابح ضخم تناوب الأبطال في جرحه، فإن سألت هؤلاء الفرسان عن حالي في الحرب، وكيف أبدو؟ لأخبرك من حضر الحرب بأني كريم عالي الهمة أتى الحروب وأعف عن اغتنام الأموال فيقول[27]:

هلا سألْتِ الخَيْلَ يا ابْنَة مالكٍ إنْ كنتِ جاهلةً بمَا لمْ تَعْلَـــمِي
إذْ لا أزَالُ على رِحَالةِ سَابــح نَهْدٍ تَعاورهُ الكمَاةُ مُكلَّـــــــــمِ
يُخبرك من شَهِدَ الوَقِيعة أننَــي أغْشَى الوَغى وأعِفّ عنْد المغنَمِ

إنَّ الوقوف على الطلل أو النسيب لم يكن فرضاً على الشعراء الجاهليين أن يجعلوه على رأس قصائدهم، فمنهم من دعا إلى شرب الخمر كما صنع (عمرو بن كلثوم) في معلقته، ومنهم من تعرض لحالة الطبيعة (كزهير بن أبي سلمى).

وهناك من الشعراء من يدخل في غرضه من القصيدة دون مقدمات فله الحرية فيما يصنع وما يرى، فهو ليس مقيداً بالمقدمات المعروفة وهي الوقوف على الطلل والنسيب، بل يدخل إلى غرضه مباشرة كلامية العرب للشنفري.

وأخيراً نستطيع القول أن عنترة قد وُفق في التعبير عن أحاسيسه وعواطفه وأفكاره من خلال هذه الأغراض من ناحية، وتوظيف هذه الأغراض أيضاً للتعبير عن مواقفه الخاصة والعامة من الحياة من ناحية أخرى.

فعلى الرغم من أنه سار على نهج الشعراء الجاهليين في بناء قصائده إلا أنه استطاع أن يتفوق في بناء قصائد متنوعة الرموز والقضايا في الشعر الجاهلي .

ثالثاً :البناء الفني في شعر عنترة بن شداد العبسي :

القصيدة الجاهلية هي الصيغة الفنية التي وصلت إلينا من الشعر الجاهلي، بعد ما نقحت وهذبت واكتملت عناصرها ومقوماتها الفنية، وهي– كما ذكرنا سابقاً– تتألف من عنصرين أساسيين هما: الجانب الشكلي (الموضوعي)، وقد تم تناوله فيما سبق، والآخر (فني) يتمثل في أسلوب الشاعر ومهارته وطريقته في التعبير عن معانيه وصوره الفنية، وسيتم تناوله في الحديث عن البناء الفني للقصيدة عند عنترة.

فالقصيدة الجاهلية لم تخلق هكذا بسهولة ويسر، بل جاءت نتيجة عمل شاق ومجهد في بنائها، ولغتها، وتراكيبها، ومعانيها وصورها، وكل هذا أدى إلى تقييد حرية الشاعر الجاهلي في صناعة شعره والتزامه بهذه القيود والتقاليد التي منها ما يأتي:

1. الطبع والصنعة:

إن الشاعر الجاهلي كان يتعمق في ذاته، ويصف مشاعره وخواطره بكل صدق، من هنا التصق بالطبع وارتبط بالنفس، ولكن هذا لا يعني أنه قد تخلص من الصنعة والتكلف، كما يقول

د.سعد شلبي: ((وليس معنى ذلك أنه بريء من الصنعة أو تجرد من التكلف وينتجه الشاعر دون صنعة فما هكذا يكون الفن)) [28].

وهكذا لو تتبعنا الشعر الجاهلي لتبين لنا مواقف امتزج فيها الطبع والصنعة ولكن بتفاوت فيما بينها، فهناك من الشعراء من تغلب عليه الصنعة، ومنهم من يغلب عليه الطبع.

فمن خلال تتبعي لقصائد عنترة وجدت أنه تغلب عليه الصنعة، إن كان في موضع مدح أو وصف، أو هجاء، ويغلب عليه الطبع إذا كان في موضع رثاء؛ لأنه من الطبيعي أن تندفع النفس في التعبير عن عواطفها ومشاعرها، ووصف حزنها وألمها الذي ألم بها إثر أي مصيبة نزلت بها من فقدان أب، أو أخ، أو ابن، أو زوج، أو صديق عزيز على النفس.

ومن تصنع عنترة فخره ببطولته وبلائه في المعارك فيقول[29] :

إذ لم أُروِّ صارمي من دم العدا ... ويصبح من إفرنده الـــدم يقطـــرُ
فلا كحلت أجفانُ عيني بالكـــرى ... ولا جاءني من طيف عبلة مخـــيرُ
أنا الموتُ إلا أنني غيرُ صـــابـــرٍ ... على أنفس الأبطال والموت يصبرُ
أنا الأسدُ الحامي حمى من يلوذ بي ... وفعلي له وصف إلى الدهر يذكرُ

بالغ عنترة عندما قال إنه سيحرم عيناه من النوم إذ لم يرو سيفه من دم الأعداء، ثم يصور نفسه أنه الموت الذي لا يصبر على أنفس الأبطال، حتى ولو الموت صبر، كما يصور نفسه بالأسد الذي يحمي من يستجير به، وأن أفعاله سيذكرها الدهر.

ومن شعر (عنترة) الذي صدر عن طبع وعاطفة وفيض من الإحساس والخواطر، شكواه من قومه (بني عبس) ومن الزمان وأهله فيقول[30] :

أعاتبُ دهراً لا يليـــــن لناصـــــح ... وأُخفي الجوى في القلب والدمع فاضحي
وقومي مَع الأيام عونٌ على دمي ... وقد طلبوني بالقنا والصفـــائـــــــــحِ
وقد أبعدوني عن حبيب أحبـــــهُ ... فأصبحت في قفر الإنس نـــــــــازحِ

فهذه الأبيات انطلقت من وجدان (عنترة) لتعبر عن الأسى والمرار الذي ذاقه من قومه وأهله وزمانه فتلاحظ هنا صدق إحساسه وحزنه على (عبلة) التي أبعدوها عنه، فهو حزن صادق لا تكلف فيه إنما انبعث عن نفس متألمة لما ألم بها من أهوال الدهر وقسوته.

2. الألفاظ والأساليب:

تعد الألفاظ البنية الأولى في بناء الأسلوب الذى هو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية [31]، ولقد وفق الشاعر الجاهلي في

صياغة تراكيبه التي تحمل مدلولات حسية، أي أنه أبدع في تصوير معانيه وصياغتها في ألفاظ وتراكيب تامة المعنى، وقد وصل الشعر الجاهلي إلينا كامل الصياغة، وتراكيبه تامة، وعباراته مستوفاة، وأكثر ما نراه غريباً في الشعر الجاهلي كان مألوفاً ومستعملاً لدى الشعراء الجاهليين، وخاصة شعراء البادية من أمثال الأعشى، ولبيد بن أبي ربيعة وغيرهما.

إن الشاعر الجاهلي إذا كان في موضع فخر أو مدح أو حكمة اقترب من النفوس وابتعد عن الغريب، أما إذا كان في موضع وصف عمد إلى الغريب في شعره؛ لأنه يصف أشياء تبدو غريبة بالنسبة لنا، أما بالنسبة لهم فهي قريبة ومألوفة عندهم، فنحن نعلم أن الشعر الجاهلي مر بمراحل مختلفة قبل أن يصل إلينا على هذا النحو.

وها هو (عنترة) يصور بلاء قومه وشجاعتهم في الحرب عندما كان يفخر بنفسه وقومه ويعاتب عبله فيقول[32] :

ألا يا عبل ضيْعتِ العهُودا وأمسى حبلك الماضي صدوداً
وما زالَ الشبابُ ولا اكتهلنا ولا أبلى الزمانُ لنا جـــديـــدا
وما زالتْ صوارمُنا حـــداداً تقدُّ بها أناملُنا الحديـــــــــدا
سلي عنْا الفزاريينَ لمّـــــا شفينا من فوارسها الكبُـــــودا
وخلينا نساءهمُ حيـــــارى قُبيل الصّبح يلطمن الخُـــدودا
وجاوزَنا الثُّريا في عـــلاها ولم نترك لقاصدِينا وفـــــــودا

لقد أجهد (عنترة) نفسه في تصوير هذا المنظر الرائع، فعبر عن ذلك بأسلوب سلس وألفاظ متينة وصور واضحة، وفصل معانيه بدقة، فقد صور نفسه وقومه بأنهم لازالوا شباباً، لا يؤثر فيهم الزمان، ومازالت سيوفهم قوية تقطع الحديد، ويخاطب (عبلة) بأن تسأل (الفزاريين) عن ذلك اليوم الذي أبلى فيه (بنو عبس) بلاءً عظيماً عندما قاتلوا (الفزاريين) وشفوا منهم الكبود، حيث تركوا نساءهم يلطمن الخدود إلى الصبح.

وهكذا نخلص أن عنترة من الشعراء الجاهليين الذين أجهدوا أنفسهم بانتقاء الألفاظ والأساليب التي تساهم في تطور ورقي لغتهم، وابتعدوا عن كل ما يعيق تطورها.

3. المعاني والأفكار:

اللفظ والمعنى ركنان أساسيان من أركان القصيدة، ومن معايير عمود الشعر ((شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ، ومشاكلة اللفظ للمعنى)) [33].

فالشاعر الجاهلي حاول الموازنة والتنسيق بين فرض إرادته الفنية على الموضوعات التي يتناولها شعره وبين الأحاسيس التي يصورها هذا الشعر، فجعلنا نظن أن هذه الصورة قد تبدو حقيقية دون أن يدخل عليها ((تعديلاً من شأنه أن يمس جوهرها)) [34]؛ ولهذا جاءت المعاني الشعرية عند عنترة واضحة وبسيطة وخالية من التكلف والإغراق في الخيال سواء إذا كان عنترة في موضع الحديث عن نفسه أو عن الطبيعة التي تحيط به، فهو لا يعرف الغلو ولا المبالغة البعيدة عن الواقع، فقد كان يصف بصدق واقعه الذي كان يعيش فيه.

ونستطيع أن نلمس ذلك أثناء وصفه للمعارك الدائرة بين قبيلته والقبائل الأخرى، حيث لم تدفعه شجاعته وبطولته إلى الخروج عن تصوير الواقع الذي يعيشه هو وقومه من (بني عبس) فيعترف بأنه أسر ذات يوم ومعه (عبلة) والعديد من (بني عبس) لدى الفرس، فيتذكر هذا كله فيقول[35]:

يا دهرُ لا تبق عليَّ فقد دنـــا ... ما كنت أطلبُ قبل ذا وأريدُ
فالقتلُ لي من بعد عبلة راحـة ... والعيش بعد فراقها منكـــودُ
ولقد لقيتُ الفرسَ يا ابنة مالكٍ ... وجيوشُها قد ضاق عنها البيدُ
وتموجُ موجَ البحرِ إلا أنهـــا ... لاقتْ أسوداً فوقهـــنَّ حديدُ

لقد كان تصوير (عنترة) هنا تصويراً حسياً، حيث ترى صبره وتجلده وشجاعته، وشجاعة قومه (بني عبس) أمام كثرة جيوش أعدائه من الفرس، ومع ذلك ظل صامداً هو وقومه أمام الأعداء يصارعونهم بكل ما يمتلكونه من عدة وعتاد بسيط إلى أن تم أسره هو و(عبلة) والعديد من (بني عبس).

وهكذا أبدع (عنترة) في معانيه وأفكاره، وبث الحركة والحيوية في موضوعاته التي أصبحت لا تملها النفس، فهو لم يجعلها ساكنة، بل جعل الحركة أساسها، ولعل ذلك راجع إلى حياته التي لم تعرف الثبات والاستقرار، فهم دائماً راحلون وراء الغيث ومساقط الكلأ.

وخلاصة الكلام أن (عنترة) التزم في الغالب بالحقيقة، فهو في تصويره لم يخرج عن الواقع المألوف، كما نقل لنا الأشياء في صورة سريعة ومتحركة، فكان من آثار ذلك الإيجاز الذي غلب على شعر (عنترة)، فجاءت أبياته وحدات مستقلة بذاتها لا ترتبط بغيرها إلا نادراً وهذا ما يسمى (وحدة البيت) أو (البيت وحدة القصيدة)، ومن هنا خلت قصائده من الوحدة العضوية التي تقوم على وحدة الموضوع والجو النفسي والتي تتسلسل فيها الأفكار وتترابط، مع وجود اللغة الحية التي هي انعكاس للواقع الذي تحدث عنه.

4. التصوير والخيال:

لقد احتلت الصورة الشعرية مكاناً بارزاً بين الموضوعات المطروحة في الساحة الأدبية حيث تعددت وتنوعت الدراسات الأدبية والنقدية[36]، ومن يتتبع هذا الشعر ويسير في ركابه يجد أن الصورة الفنية تلازم انطلاقة منذ البدء متمثلة في (التشبيه)، و(الاستعارة)، و(الكناية)، و(المجاز) وهي تشكيلات الصورة.

ومن هنا سنكشف النقاب عن جمال الصورة وأثرها في شعر (عنترة)، وما أضفته على معانيه ومضامينه من جوانب خلافة مطبوعة في مخيلته متكئين في دراسته على التشبيه والاستعارة والكناية.

استخدم عنترة المعاني والصور الجزئية في شعره وكان من أهم الوسائل الفنية التي اعتمد عليها كثيراً في شعره (التشبيه) فقليلاً ما تخلو قصيدة منه، فالتشبيه له دور كبير في تشكيل الصورة الفنية عنده، والنماذج التي تدل على ذلك كثيرة في شعره، ومن ذلك قوله في معلقته[37] :

ما رَاعني إلا حمولةُ أهلِهـــــا وسط الديار تسفُّ حبَّ الخِمخمِ

فيها اثنتانِ وأربعونَ لبونـــــةً سوداً كخافيةِ الغُراب الأسْحـــمِ

فصغارُها مثلُ الدِّبا وكبـــارها مثلُ الضفادعِ في غدير مفعـــمِ

استطاع (عنترة) بملكته الخيالية أن يخلق لنا صورة رائعة للإبل، تتمثل في قوله (تسفُ حب الخمخم) كناية عن الجفاف فقد راعه سف الحمولة حب الخمخم؛ لأنه لم يبق شيء إلا الرحيل فصارت تأكل حب الخمخم؛ وذلك أنهم كانوا مجتمعين في الربيع فلما يبس البقل ارتحلوا وتفرقوا.

وبعد ذلك يستمر في تصوير الإبل فيشبهها بأواخر ريش جناح الغراب وقد ذكر الإبل السود خاصة؛ لأنها أنفس المال عندهم، وهذا (كناية) عن غناهم كما صور صغار الإبل (بالدّبا) وهو الجراد قبل أن يطير، وكبارها (بالضفادع) التي في الغدير.

أ. تصوير (عنترة) الأشياء بالمحسوسات الموجودة في واقعه:

لقد ربط (عنترة) الأشياء بما يماثلها في واقعه الحسي، ومن ذلك اهتمامه الشديد بتصوير الإبل والخيل والمرأة، فصوّر من الإبل [بطونها- أخفافها- حجمها- ذيولها- سيرها- قوائمها تعبها- قوة تحملها- ضمورها- مطاردتها الحصى وعدم الاستغناء عنها].

أما الخيل فقد صوّر [عدوها- ضخامتها- ضمورها- أجسامها- ارتفاعها- قوائمها ظهورها- أعناقها- ذيولها- واستخدامها في صيدهم].

كما صورّ المرأة [فوصف حسن خلقها – جمالها – طولها – عنقها – ثغرها – أسنانها رقتها – مشيتها – كلامها – طيبها إلى غير ذلك من الأوصاف الأخرى].

1. تصوير الإبل: لقد أكثر (عنترة) من ذكر الإبل ووصفها، فأبدع في تصويرها وتصوير أعضائها، فها هو يقول[38]:

عَناجيجٍ تَخُبّ على رَحَاها تُثيرُ النّقْعَ بالموتِ الزّؤامِ

2. تصوير الخيل: بجانب وصف الإبل كان وصف الخيل الذي اعتنى به (عنترة) فلا يكاد يخلو شعره من ذكر الفرس ووصفها، فهو من الشعراء الذين اشتهروا بوصف الخيل ((كطفيل بن كعب الغنوي الذي نسب إلى الخيل لجودة وصفه)) [39].

وقد كان (عنترة) من الشعراء المهتمين بذكر الخيل، حيث وصف فرسه بالأجرد السابح في قوله[40]:

ألا ليْتَ شعْري هل تُبلّغني المنى وتَلقى بيَ الأعداءَ سابحةٌ تَعدُو

كما يتعجب عنترة من طولها على الأرض فيقول[41]:

وضَربٌ وَطعْنٌ تحت ظلّ عجاجَةٍ كجُنح الدُّجى منَ وقع أيدي السَّلاهبِ

ومن الأوصاف التي كان العرب يستحسنونها في الخيل غلظ القوام وانتفاخ الجنبين والسمنة حيث يقول عنترة في ذلك[42]:

وحشّيتي سَرْج على عَبْل الشَّوى نَهْد مرَاكِلهُ نَبيلِ المَحْزِمِ

هكذا أطلق (عنترة) مسميات وأوصاف كثيرة للخيل، لا نستطيع حصرها في هذا البحث فكل عربي كان يطلق على فرسه اسماً، وهذا الاسم ينتشر ويذيع بين العرب فيصبح مشهوراً أو معروفاً.

3. تصوير المرأة: لقد تعددت تشبيهات الشعراء الجاهليين للمرأة، فشبهوها بالشمس والبدر والدمية والرمح والسيف والبقرة والظبية والقطاه، وشبهوا أسنانها بالأقحوان ورائحتها بالمسك إلى غير ذلك من التشبيهات، ومن ذلك تشبيه (عنترة) لبريق ثغر (عبلة) بلمعان السيوف في الحرب في معلقته[43].

فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنها لمعتْ كبارقِ ثغركِ المتبسمِ

يصور عنترة لمعان السيوف وهي في أيدي المحاربين ببريق ثغر (عبلة) وهي تبتسم وهذا يدل على مدى حبه (لعبلة) ولهفته عليها، فصورتها لا تفارقه حتى وهو في ميدان المعركة.

ب. الإغراب في التصوير:

وفي نهاية حديثنا عن التصوير والخيال نسوق بعض النماذج الشعرية لعنترة بن شداد والتي تحتوي على ألوان من البيان من مثل التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل.

فمن التشبيه البليغ قول عنترة [44]:

أَنا الموتُ إلاّ أنني غيرُ صابرٍ على أنفس الأبطالِ والموتُ يصبرُ

استخدم عنترة التشبيه البليغ (أنا الموتُ)؛ ليجعل سامعه يحس ويستشعر بما يصف ثم يضفي على هذه الصورة نوعاً من الاستعلاء بأنه متعطش للفتك والنيل من الأبطال أكثر من الموت الذى يمهلهم ويصبر عليهم.

ثم يستخدم صورة جزئية أخرى هي (الاستعارة المكنية) حينما جعل نفسه ابن الحرب، حيث ولد فيها وترعرع ورضع لبن المعامع . فقد شبه المعامع والحروب بالأنثى، واستخدم صفة من صفاتها وهى (إدرار اللبن) وإرضاع أطفالها فقال[45]:

وفي الحَرْبِ العَوانِ وُلِدْتُ طِفْلا ومِنْ لبَنِ المَعامِعِ قَدْ سُقِيتُ

كما عرض لنا (عنترة) صورة أخرى من صوره وهى الكناية في قوله (طوال السواعد) وهى كناية عن البذل والمعونة يقول[46]:

إذا قيل: مَنْ للمُعضِلاتِ؟ أجابهُ عِظامُ اللُّهَى منّا طِوالُ السَّواعدِ

واستخدم عنترة (المجاز المرسل) في كلمة (المضارب) وهو من السيف (حده)،وهو يريد السيوف فاستخدم الجزء للكل، فالعلاقة هنا بين المضرب والسيف ليست المشابهة، وإنما جزئية فالمضرب جزء من السيف يقول عنترة[47]:

لِمنْ يلتقى أبْطالها وسَراتهَا بقلبٍ صَبور عندَ وَقع المضَاربِ

كما تلاحظ حسن التعبير والتصوير الدقيق في استخدامه (للطباق)؛ليبرز لنا قوته وشجاعته وشدة بأسه، فهو الذى يتلقى رماح الأعداء عن قبيلته متحملاً شدة الحر، ثم يبرز إخلاصه لقبيلته (بنى عبس) في هذا الطباق، فهم لو تنصلوا منه وأبعدوه عنهم يقترب منهم ويحبهم يقول[48]:

وأدنُو إذا ما أبْعدوْني وألتقي رماحَ العدا عنْهُم وحَر الهَواجِرِ

نلحظ مما سبق أن هناك علاقة بين الخيال والصورة الشعرية، فالخيال هو القوة المشكلة للصورة، أي أنه كلما كان الشاعر قادراً على التخيل استطاع أن يخلق الصورة التي يريدها ويشكلها بمهارة وإبداع، كما نلحظ مطابقة صوره لبيئته وزمانه الذي عاش فيه، وأن خياله لم يبتعد كثيراً عن الواقع، فقد كانت صوره الشعرية تصور الأشياء تصويراً حسياً، و كانت انعكاساً صادقاً لعاطفته.

كما أن للبيئة دوراً في حياة العربي، فالشعراء يصفون كل ما تقع عليه أعينهم في بيئتهم الصحراوية المترامية الأطراف وقد شهد بذلك ابن طباطبا حين قال: ((... وهم أهل وبر صحونهم البوادي، وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها ...)) [49].

فهذه البيئة المكشوفة الظاهرة تزيد من إحساس الإنسان لذاته وتقويه كما في قول عنترة[50]:

إنْ كنت أزمعْتِ الفراقَ فإنّما زُمتْ جمالكُم بليلٍ مُظلـــمِ
فيها اثنتانِ وأربعـونَ لبونـــةً سُوداً كخافية الغراب الأسحم

يقول عنترة هنا إن كنت (يا عبلة) عزمت ووطنت النفس على الفراق، فإني لم أشعر به؛ لأنكم ترحلتم بليل، فكان أشد وقعاً على نفسي، كما شبه النوق السوداء (ذات اللبن) بأواخر ريش جناح الغراب.

5. موسيقى الشعر:

الموسيقى الشعرية العربية القائمة على (الوزن والقافية) نشأت نشأة عربية خالصة، فهي لم تتأثر بالأمم الأخرى، وقد ارتبط الشعر الجاهلي بالوزن والقافية التي أصبحت من أولوياته، ونلحظ ذلك عند أقدم الشعراء، كما كان للنساء دور في الغناء، فهي تثير حماسة الرجال في الحروب وتدفعهم إلى الأمام، وتبث فيهم الثقة والشجاعة.

ولقد ((نبع الشعر العربي من منابع غنائية موسيقية، وقد بقت فيه مظاهر الغناء والموسيقى واضحة ولعل القافية أهم تلك المظاهر)) [51].

كما قال بذلك ابن رشيق : ((الوزن أعظم أركان حد الشعر و أولاها به خصوصية)) [52].
وقول ابن سنان الخفاجي : ((أن الوزن يحسّن الشعر، ويحصّل للكلام به من الرونق مالا يكون للكلام المنثور.))53

أ. القافية: القافية جزء أساسي من الوزن، فالقافية لا تختار عشوائياً وإنما تختار وفقاً لمتطلبات الموضوع الذي تفاعل معه الشاعر في تجربته الشعرية؛ لتسهم إسهاماً فعالاً في تكوين الصورة الفنية، فالقصيدة العربية تبنى غالباً على القافية الموحدة، فجميع القصائد الجاهلية عامة وقصائد (عنترة) خاصة التزمت بالقافية ومن ذلك قوله[54] :

وتظلُ عبلةُ في الخزورِ تجرها وأظلُ في حلقِ الحديد المبهمِ
ولقد نزلتِ، فلا تظني غيــرهُ مني بمنزلةِ المُحبِّ المَكــرمِ

لقد اهتم (عنترة) في أغلب قصائده بأصوات اللين، كما استخدم القوافي المطلقة في كثير من قصائده (مديح، هجاء).

1. أصوات اللين (ألف المد) البطيء فيها:

من مثل قوله[55]:

ألا يا عَبل ضيعْت العهُودا وأمسي حبلكِ الماضي صُدودا

وما زال الشبابُ ولا اكتهلنا ولا أبلى الزمانُ لنـــــا جدَيدا

فنلحظ في هذا النموذج السابق نوعاً من البطيء يفرض على القارئ التمهل في القراءة وهذا البطيء الموسيقى فرضه (ألف المد) أطول أصوات اللين.

2. التقصير من هذه الأصوات:

فكما كان (عنترة) (يطيل) في أصوات اللين ليحقق البطيء الموسيقى، كان (يقصر) من هذه الأصوات نفسها ليخلق لنا نمطاً سريعاً من الموسيقى، فيقول في قصيدة نظمها في وزن (بحر البسيط) ويظهر فيها تقصير أصوات اللين[56]:

يا دهرُ لا تبق عليَّ فقد دنـــا ما كنتُ أطلبُ قبل ذا وأريدُ

ولقد لقيتُ الفرس يا ابنةَ مالكٍ وجيوشُها قد ضاق عنها البيدُ

ب . التصريع: وفي الغالب ما يأتي به الشاعر عندما ينتهي من قصيدة وينتقل إلى أخرى أو ينتقل من موضوع إلى موضوع في نموذجه الفني كقول عنترة[57]:

إني أنَا عنترةُ الهَجيـــنُ فجُّ الأتَانِ قد عَلا الأنِيـــنُ

يُحَصدُ فيه الكفُّ والوَتِينُ مِن وقْعِ سَيْفي سَقَط الجنينُ

ج . الجنـاس: وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر أو كلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها، وعرفها (ابن الأثير) بأن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً[58]:

وعلى هذا يكون الجناس: هو تشابه اللفظتين في النطق واختلافهما في المعنى، بالإضافة إلى اتحادهما وزناً في بعض الأحيان، وهو نوعان: تام وناقص.

1.الجناس التام: وهو تكرار الكلمة بتمامها من مثل قول عنترة[59]:

سأحْمِلُ بالأسودِ على أسودِ وأخْضِبُ ساعِدِي بدَم الأسُودِ

فكلمة (أسود) في الشطر الأول من البيت تعني الخيل حيث شبهها بالأسود أما (الأسود) في الشطرة الثانية تعني الأبطال، فقد شبههم بالأسود أيضاً.

2. الجناس الناقص: هو تكرار لبعض الحروف ونراه أيضاً في قول عنترة[60]:

طَرَبْتَ وهاجَتكَ الظباءُ السَوارحُ غَداةَ غدَتْ منها سنيحٌ وبارحُ

فالجناس الناقص في لفظتي (سوارح وبارح) وكذلك لفظتي (غداة، غدت).

د. حسن التقسيم: وهو تقسيم إلى فواصل يستريح فيها اللسان أثناء الأداء والإنشاد كقول عنترة[61]:

قلتُ لكعْب / والقَنَا مُشْتجِره تَعَلّمي يا كَعْبُ / وامْشي مُبْصرهْ

ثم اذهبـي منـي وكُونـي حَـذِره

وهكذا نستطيع القول أن (عنترة) من الشعراء الذين استطاعوا أن يطوروا موسيقى الشعر تطويراً ملحوظاً.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن هناك توافقاً وتناسباً بين فن الشعر واللغة الشاعرة عند (عنترة)، وجاء نتاجه الشعري متمشياً مع بيئته وزمانه وعصره، كما انتظمت مفردات لغته وتراكيبها ومخارج حروفها على الأوزان والحركات، فقد كان (عنترة) ينتقي الأفصح من الألفاظ، وهذا أسهم في إنتاج هذا الشعر الموزون.

وخلاصة الكلام أن (عنترة) من الشعراء الجاهليين الذين اعتمدوا في بناء قصائدهم على موضوعات متجاورة متتالية، وبذلك نستطيع أن نتوصل إلى أن القصيدة عند (عنترة) تجمع أغراضاً أو موضوعات متعددة، لا يربطها ببعضها البعض إلا وحدتي الوزن والقافية.

الخاتمة

تناولتُ في هذه الدراسة البناء الفني للقصيدة العربية عند عنترة بن شداد العبسي، وقد بدأت بشعره وموضوعاته ثم بأسلوبه وطريقته الفنية، فهو لم يخرج عن الشعراء الجاهليين في التزامهم بالتقاليد الفنية الموروثة عن القصيدة الجاهلية، فقد كان شعره واضحاً لا غموض فيه يعكس لنا الحياة السياسية والاجتماعية وما تتضمنه من صور حماسية للبطولة والفروسية في العصر الجاهلي.

شعر عنترة بن شداد شعر غنائي بالرغم من وجود بعض القصائد التي تسرد فيها القصص الغرامية أو غير ذلك.

لقد وفق عنترة بن شداد في التعبير عن أحاسيسه وعواطفه وأفكاره من خلال تناوله للأغراض التقليدية كالغزل والفخر والرثاء وغيرها.

إن عنترة سار على نهج الشعراء الأقدمين في مقدماتهم وتناوله للأغراض الشعرية. لقد شغل عنترة الناس بأسطورة أهواله وشجاعته وفروسيته وإقدامه في الحروب، فكل هذه الأحداث أثرت في شعر عنترة.

وقد وضعتُ في دراستي هذه الاعتبارات :

- دراسة الفترة التي عاش فيها عنترة وهي العصر الجاهلي.
- تناولت أبرز القصائد الشعرية عنده وقمتُ بتحليلها.

■ كما تناولت أهم المعارك والغزوات التي أنتج لنا فيها شعراً فنياً رائعاً.

■ كما لاحظت في عنترة أنه كغيره من شعراء العرب كانوا قريبين من المعارك والغزوات فعاشوا أهوالها وويلاتها وأيامها، وبالتالي كان عنترة أصدق في تعبيراته وأقدر في إبداعاته على إنتاج شعر حقيقي.

وقد حاولت التأني في الكتابة وصياغة الكلمات وضبطها وربط الأفكار والمعاني؛ لتتضح الرؤية عند القارئ.

ولا أزعم أني استوفيتُ هذه الدراسة من جميع جوانبها، فقد تكون هناك بعض الجوانب في هذه الدراسة تستحق الوقوف عليها ولم أعطها حقها، فحسبي ما بذلتُ من جهد ومتابعة على الرغم من الظروف التي مررت بها – كما ذكرت سابقاً – وأرجو من الأيام أن تتكفل بسد هذه الثغرات، وإني لأسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وإنه نعم المولى ونعم النصير.

الهوامش

1) ابن رشيق القيرواني: العمدة: دار الطلائع للنشر والتوزيع 2006م، ط5، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 158/1.

2) محمد صادق حسن عبد الله: خصوبة القصيدة الجاهلية ومعاينها المتجددة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص83.

3) ابن رشيق القيرواني: العمدة، 153/1.

4) أبو هلال العسكري: ديوان المعاني، طبعة القاهرة، 135، ص 22.

5) د. عبد الرازق حسين: النص الجاهلي، (قراءة تحليلية)، دار المعالم الثقافية، الإحساء للنشر والتوزيع ص11– 12.

6) د. محمد عويس: التيار الفني الجاهلي في شعر صدر الإسلام، مكتبة الطليعة، أسيوط، 1980م، ص162.

7) د. محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولي، 1412هـ 1992 م، ص 223.

8) د. حسين نصار: فن الشعر العربي، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1421هـ – 2001م، ص 22.

9) عنترة بن شداد(شرح الديوان)، شرح وتعليق عباس إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، ص104 – 105.

10) د. محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص 224 .

11) د. عبد الرازق حسين: النص الجاهلي، ص 13.

12) د. حسن عبد العليم يوسف: الشعر الجاهلي في دراسات المستشرقين الألمان، 1994م، ص94.

13) د. مي يوسف خليفة: القصيدة الجاهلية في المفضليات، دراسة موضوعية فنية، الناشر مكتبة غريب، ص43.

14) القرشي (أبي زيد محمد بن أبي الخطاب): جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، حققه وعلق عليه د.محمد علي الهاشمي، دار القلم – دمشق، 1 / 483.

15) عنترة بن شداد: ديوانه، دار الكتاب العربي بيروت– لبنان، 2007، ص 199.

16) د. محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص 312.

17) عنترة بن شداد (شرح الديوان) شرح وتعليق عباس إبراهيم، ص 68.
18) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي ((الأدب القديم))، ص 146.
19) عنترة بن شداد (شرح الديوان) شرح وتعليق عباس إبراهيم، ص 121.
20) د. غازي ظلمات أ .عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) قضاياه أغراضه– أعلامه – فنونه، دار الإرشاد بحمص، ص 130.
21) عنترة بن شداد (شرح الديوان) شرح وتعليق عباس إبراهيم، ص 107 – 108.
22) محمد صادق حسن عبد الله، خصوبة، القصيدة الجاهلية، ص 120.
23) عنترة بن شداد (شرح الديوان) شرح وتعليق عباس إبراهيم، ص 149.
24) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر ط : الحلبي القاهرة سنة 1364هـ 1/ 20.
25) عنترة بن شداد (الديوان) طبعة بيروت، الطبعة العاشرة 1955، ص 15 – 16.
26) القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، 1/ 485.
27) المصدر السابق نفسه، 1/ 388.
28) د. سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي، طبع دار غريب للطباعة، ص 43.
29) عنترة بن شداد (شرح الديوان) شرح وتعليق عباس إبراهيم، ص 56.
30) المصدر السابق نفسه، ص 33.
31) أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط.6، 1966 م، ص 44.
32) عنترة بن شداد (شرح الديوان) شرح وتعليق عباس إبراهيم، ص 51.
33) المرزوقي: مقدمة شرح ديوان الحماسة، نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون 1951م، 1/ 9.
34) د. شوقي ضيف: (العصر الجاهلي)، ص 219.
35) عنترة بن شداد (شرح الديوان) شرح وتعليق عباس إبراهيم، ص 36 – 37.
36) إحسان عباس: فن الشعر، 1967م، ص 233.
37) القرشي: الجمهرة، ص 476/1.
38) عنترة بن شداد: الديوان، الطبعة الأولى 1374 هـ – 1955 م، ص 66.
39) محمد عثمان علي: في أدب ما قبل الإسلام، دار الأوزاعي، الطبعة الأولى 1402 هـ 1982م، ص 120.
40) عنترة بن شداد، الديوان، الطبعة الاولى، 1374 هـ – 1955 م، ص 126.
41) المصدر السابق، ص 98.
42) المصدر السابق، ص 19.
43) المصدر السابق نفسه.
44) عنترة بن شداد، (الديوان)، الطبعة الأولى، 1955 م، ص 146.
45) المصدر السابق نفسه، ص 107.
46) المصدر السابق نفسه، ص 116.
47) المصدر السابق نفسه، ص 98 .
48) المصدر السابق نفسه، ص 149.

49) ابن طباطبا: عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري – محمد زغلول سلام، القاهرة،1956 ص10–11.
50) القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، 1/475–476.
51) د. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه، ص 48.
52) ابن رشيق القيرواني، العمدة، ص 115.
53) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان 1982م، ص287.
54) القرشي: جمهرة أشعار العرب، 1/ 474.
55) عنترة بن شداد (الديوان): الطبعة العاشرة، 1955 م، ص 121.
56) عنترة بن شداد، (شرح الديوان)، شرح وتعليق عباس إبراهيم، ص 36 – 37.
57) عنترة بن شداد (الديوان) طبعة بيروت، الطبعة العاشرة، 1955 م، ص 37.
58) ابن الأثير: المثل السائر، تحقيق: أحمد محمد الحوفي وبدوي طبانة القاهرة، 1960م الطبعة الأولى 1/ 342.
59) عنترة بن شداد (الديوان)، الطبعة العاشرة، 1955 م، ص 121.
60) المصدر السابق نفسه، ص 37.
61) المصدر السابق نفسه، ص 47.